نحو تواصل جديد بين القيم الصينية والعربية

عبد الجبار تشو وي ليه ■

يعلم الجميع أن مصدر الإرهاب هــو التطرف الفكري، وأي دين أو مذهب سياسي أو علمي إذا كانت قراءته وتفسيراته متشددة، فإنه يخالف روح العصر باستمرار، ويخطئ في اختيار صوره ويشــوّه معانيها وتعاليمها حتى يصل ذلك إلى حــد الغلو والتطرف؛ ويؤدي ذلك بالضرورة إلى نشوء أفراد وجماعات ومنظمات تميل إلى سلوك الراديكالية والعنف والإرهاب في مجتمعاتها، وفي هذا المجال لا يُستثنى من ذلك أية دولة شرقية كانت أو غربية، على سبيل المثال الفاشية في ألمانيا، والعســكرية في اليابان عبر التاريخ، والتطرف والارهاب في الشرق الأوسط حالياً.

إن العالــم العربي في الوقت الحاضر يشــهد مكافحة الإرهاب العســكرية ضد داعش في العراق وســوريا، بخلاف اليمــن وليبيا والصومال؛ حيث تضطرم نيــران الحرب والصراع باســتمرار، أما معظم الــدول العربية التــي مــرّت باضطرابات «الربيــع العربي» المتواصلة منذ أكثر من خمسة أعوام، فقد دخلت مرحلة الانتقال من الفوضى إلى الإدارة، ومن ثَمَّ تُعدُّ مكافحة التطرف من حيث المجال

■ أكاديمي في جامعة شانغهاي للدراسات الدولية، الصين.

الفكري مهمة مشـتركة يجب على الدول العربية والمجتمع الدولي ـ بما فيه الصين ـ أن تواجهها معاً.

لاحظنا أنه منذ ظهور نظرية صراع الحضارات التي طرحها البروفيسور الأمريكي صاموئيـل هانتينغتون عام 1993، سـرعان ما كانت مصر والأردن وغيرهما من الدول العربية تقف موقف الرفض والدحض لها، وتدعو العلماء والخبراء العرب والمسـلمين لتجلية الوسطية الإسـلامية بشكلٍ إيجابي من خلال مقاربات شتى، علمية وتعليمية وثقافية وإعلامية لحل مشكلة التطرف من أساسـها وتصحيح صورة الإسـلام؛ حتى يُرسَـم خط فاصل واضح بين الدين الإسلامي الحنيف وأقاويل التطرف والإرهاب الباطلة، وإقامة الحوار الحضاري لمواجهة نظرية صراع الحضارات والسياسات المترتبة عليها في الشرق الأوسط. ومنذ ذلك الحين أُنشـئت على التوالي في عدد من الدول العربية مؤسسـات العقل ومراكز الفكر المتخصصة للوسـطية الإسـلامية والثقافة الوسـطية، بل أدرجت الوسطية في سياسـتها الداخلية والخارجية المعلنة. والجدير بالذكر هنا أنني قد شرفت بزيارة سلطنة عُمان في إبريل عام 2006 لإلقاء محاضرات في معهد الدبلوماسية في مسقط عاصمة الثقافة العربية حينذاك، وقرأتُ توصية ندوة «الإسـلام والعولمـة» المنعقدة فيها. وهي توصي باعتماد خطاب إسلامي يراعي التوازن بين الوحي والعقل، وبين المادة والروح، وبيـن الحقوق والواجبات، وبين الفرديـة والجماعية، وبين الإلهام والالتزام، وبين النص والاجتهاد، وبين الواقع والمثالي، وبين الثابت والمتحول، وبين الارتباط بالأصل والاتصال بالعصر. ويتضح أن هذه التوصية تهدف إلىترسـيخ الهويـة الحضارية للعـرب المسـلمين، وتحفيز الأجيال الناشـئة منهم على مزيد من الاتصال بتفاصيل تلـك الهوية من أجل تنمية انتماء عميق ومتوازن في أبعاده الوطنية والعربية والإسلامية. في الواقع رغم أن منطقة الشرق الأوسط تُعدُّ منشأ التطرف والارهاب في الوقت المعاصر؛ فإن الدول العربية هي الأشد تعرضاً لويلات سوئهما، وتلعب القوة الرئيسة والدور الحاسـم في مكافحتها حالياً بحكم موقعها كصاحبة الشأن، ونظراً لهذا، تحظى كل المجهودات المذكورة آنفاً والمبذولة من قِبَل الدول العربية

في دعوتها للوسطية الإسلامية وتجديد الخطاب الديني بتقديرنا واعجابنا؛ إذ تزودنا بطاقة ايجابية في مكافحة التطرف.

ولكن مع الأسف إن الربيع العربي المنطلق عام 2011 ـ والذي أحدث فوضى وعنفاً في كثير من الدول العربية ـ لم يُعقْ ويعرقل عمليتها في الإصلاح والتنمية فقط، وإنما أتاح للنفوذ المتطرف والإرهابي فرصة لتدب الحياة فيه من جديد أيضاً، مما يؤدي إلى تغليب الهوية الطائفية على الهوية الوطنية، وتأخير تشكيل قيمها الجوهرية. ومع ذلك قد لاحظنا في الفترة الأخيرة أن الحكومة المصرية تتمسك باتخاذ الإجراءات لدفع تجديد الخطاب الديني، والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية قد وضعت كلتاهما التسامح والتعايش والانفتاح في قيمهما الجوهرية على مستوى الدولة، فضلاً عن إقامة جائزة خاصة للتسامح في دبي... الأمر الذي يدفعني إلى أن أشارك اليوم بجرأة في ندوتنا السابعة للحوار الحضاري بين الصين والدول العربية بمشروع التواصل بين القيم الصينية والعربية.

رغم أن منطقة الشرق الأوسط تُعدُّ منشأ التطرف والارهاب في الوقت المعاصر؛ فإن الدول العربية هي الأشد تعرضاً لويلات سوئهما، وتلعب القوة الرئيسة والدور الحاسم في مكافحتها حالياً بحكم موقعها كصاحبة الشأن.

تعلمون أيها القراء الكرام أن مبدأ الصين في مكافحة الإرهاب يدعو إلى التمسك باتخاذ الإجراءات المتعددة الأهداف، والقيام بمعالجة فرعية وجذرية معاً. وبهذا الشأن يشير القول المأثور الصيني «لا بناء بلا هدم» إلى أنه يجب على كل دولة معنية بمكافحة الإرهاب أن تولي الاهتمام البالغ بتشكيل القيم الجوهرية لها، بينما تحثّ على دحض ونبذ كل آراء مضللة ومفاهيم باطلة تشوه معاني وتعاليم القرآن الكريم والحديث النبوي. فقد أشار السيد الرئيس الصيني شي جين بينغ في كلمته الملقاة في مقر الجامعة العربية في يناير عام 2016 إلى أن لكل من الحضارة الصينية والحضارة العربية منظومتها وخصوصياتها، إلا أن كلتيهما تحتوي على عقيدة ومساعٍ مشتركة جاءت متراكمة في مسيرة التقدم والتطور للبشرية، وتؤمن كل منهما بقيم الوسطية والاعتدال والسلام والوفاء والتسامح والانضباط الذاتي،

مما يدلُّ علـى أن العمل على إحيـاء القيم الإيجابية فـي حضارتنا التقليدية الأصيلة وتشـكيل قيمنا الجوهرية التـي تتوافق مع عصرنا اليـوم ـ يتفق مع موضوعنا اليوم تماماً؛ لكونه من ضمن حـدود المعالجة الجذرية؛ أي اقتلاع بواطن الإرهاب وهو التطرف الفكري.

إن تبني وتشـكيل القيم الجوهرية في بناء الدولة الحديثة هو عمل شـاق وطويل الأمد. كانت الصين قد بذلـت جهودها الجهيدة فـي البناء والإصلاح والتنمية طوال عشرات من السنين حتى أعلنت في المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني عام 2012 القيم الجوهرية الخاصة بالصين، ألا وهي الرخاء والديموقراطية والتحضر والتناغـم، وهي قيم على مسـتوى الدولة، والحرية والمسـاواة والعدالة وحكم القانـون وهي قيم على مسـتوى المجتمع، أما حب الوطن والتفاني والأمانة والصداقة فهي قِيَم على مستوى الفرد المواطن. وتعكس هذه القيـم الصينية باختصار الـروح الوطنية التي تكـون نواتها حب الوطن، والروح العصريـة التي تكـون نواتها الإصـلاح والابداع، وتوضح هـذه القِيَم الجوهرية المتطلبات الأساسـية للاشـتراكية الصينية، وتحافـظ على الثقافة الصينية التقليدية المتميزة، كما تسـتفيد من إنجازات البشرية الحضارية في العالـم، وكذلك تجيب على أسـئلة خطيرة بوضـوح؛ مثل: أي نـوع من الدول سنبنيه؟ وما هو المجتمع الذي نريده؟ وأي نوع من المواطنين سنربيه؟

بطبيعة الحال إن هـذه التجربة الصينيـة التي ألخصها هنـا إنما أقصد تقديمها إلى العلماء والخبـراء العرب الكرام كنموذج صينـي للمراجعة. فإن الـدول العربية ـ رغم امتلاكهـا صفة الوحدانيـة في اللغة والديـن والقومية والثقافة والحضارة ـ تختلف أحوالها الوطنية بعضها عن بعض، من حيث النظام السياسي أو مسـتوى التطور الاقتصادي والاجتماعي، ولا يمكن لكل منها إلا أن تتبنى وتشـكّل قيمها الجوهرية الخاصة بـكلٍ منها على حـدةٍ. وإذا كان هذا الموضوع يستطيع أن يلفت نظر الطرف العربي، ويرغب في التواصل والتعاون معنا من خلال مشـروع ترجمة الأبحاث والمؤلفات لطرفينـا، وإقامة الندوات العلمية؛ فمن المؤكد أنه سيعود بالنفع على تعميق الفهم المتبادل بين الطرفين الصيني والعربي وإثراء محتويات حوارنا الحضاري في المستقبل.